

ثورة شقنا بن عبد الواحد وادعاء النسب الشريف بالأندلس (150-161هـ)

The revolution of Shaqna bin Abdul Wahed and the claim of honorable lineage in Andalusia
(AH 161-150)

د. عيادي حسينة¹

جامعة عباس لغرور - خنشلة -

ayadihassina@yahoo.com

تاريخ الوصول 2020/09/29 القبول 2021/01/06 النشر على الخط 2021/09/30

Received 29/09/2020 Accepted 06/01/2021 Published online 30/09/2021

ملخص:

في المشرق ظهرت الخلافات حول الأحقية بالخلافة في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي، وأبرز من رأى أنه الأحق بها أفراد البيت النبوي وذريتهم (الحسين بن علي، زيد بن علي، يحيى بن زيد) لكن كل محاولاتهم في الوصول إلى الخلافة باءت بالفشل، إلى أن جاء العباسيون وتمكنوا من تحقيق هذه الغاية، أما في بلاد المغرب فلم تظهر أي محاولة للمطالبة بالخلافة من قبل رجال آل البيت، حتى منتصف القرن الثاني من الهجرة، وهو ما تعالجه هذه الدراسة حيث تسلط الضوء على حركة عسكرية قام بها رجل بربري ادعى النسب الشريف وانتسب للحسن بن علي رضي الله عنهما اسمه شقنا بن عبد الواحد ضد عبد الرحمن الداخل بالأندلس، وظلت حركته قائمة مدة قرابة العشر سنوات، وهذا ما يدعو للتساؤل: من هو هذا الرجل؟ وما هي الظروف التي قامت فيها ثورته؟ وما أثر ادعاء النسب في نجاحها المؤقت؟ وكيف أثرت في الفكر السياسي في بلاد المغرب؟ وتخلص هذه الدراسة في الأخير إلى أن شقنا استغل الظروف السائدة أحسن استغلال خاصة تعلق الأندلسيين بآل البيت وشكل حجر عثرة لمشروع الداخل في بعث أمجاد الأمويين مدة العشر سنوات، إلا أنه في الأخير قتل وانتهى خبره وقبر مشروعه ولم يتبناه أحد من بعده.

الكلمات المفتاحية: الأندلس؛ شقنا؛ النسب؛ ثورة؛ الداخل.

Abstract:

In the East, disputes about entitlement to the caliphate appeared at an early period in Islamic history. The members of the prophet's family and their descendants; Hussein bin Ali, Zaid bin Ali and Yahya bin Zaid, were the most prominent of those who believed that they were most entitled to it. Despite their several attempts to claim the caliphate, they were all unsuccessful. However, the Abbasids were able to achieve the goal of reaching it when they came. Unlike in the East, there were no attempts to claim the caliphate by the men of Al-al-Bayt in the Maghreb. However, in the mid of the second century of the Hijra, a barbarian man by the name Shaqna bin Abd al-Wahid claimed the noble lineage to Hassan Bin Ali, and he carried out a military movement against Abd al-Rahman al Dakhil in Andalusia, which lasted about ten years. The in-hand study sheds light on this military movement, and therefore the following questions are raised: Who was this man? What were the circumstances in which his revolution was established? What was the effect of claiming noble lineage on its temporary success? How did it affect political thought in the Maghreb? In the end, this study concludes that Shaqna took advantage of the prevailing circumstances in the best way, especially the Andalusians' attachment to the family of Al-al-Bayt. For a period of ten years, Shaqna was able to get in the way of Al Dakhil's vision in resurrecting the glories of the Umayyads, but in the end he was killed and no one after him chose to follow his steps and adopt his quest.

Keywords: Andalusia; we slit proportions; Revolution, inside.

¹ - المؤلف المرسل: عيادي حسينة البريد الإلكتروني: ayadihassina@yahoo.com

1. مقدمة:

بعد أن فقد الأمويون سلطانهم في بلاد المشرق على أيدي العباسيين، فإن محاولتهم لإيجاد موطئ قدم في بلاد المغرب لم يكن أمراً سهلاً، فقبل أن يؤسس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام -أو صقر قريش كما وصفه أبو جعفر المنصور- إمارته كان عليه أن يخوض العديد من الحروب قبل أن يستتب له الأمر في الأندلس، ولما تم له ذلك ظلت الثورات تقض مضجعه، وحاول العديد من الثوار منافسته على الحكم ونهج مساره طالما باتت الثورات تحقق نوعاً من النجاح في الوصول إلى سدة الحكم، فالتجربة العباسية ثم تجربة الداخل أصبحت نماذج يمكن الإحتذاء بها، وفي هذا الإطار ظهرت ثورة في الأندلس ضد الإمارة الأموية، لكن كان لها طابع خاص ميزها عن غيرها من الثورات، وذلك أن صاحبها ركب موجة جديدة وخاض تجربة لم يسبق أن قام بها أحد من قبله سواء في بلاد المشرق أو في بلاد المغرب، ألا وهي ادعاء النسب الشريف فانتسب زورا إلى فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الشخص يسمى شقنا بن عبد الواحد، استطاع أن يدوخ الداخل ويقض مضجعه مدة طويلة قاربت العشر سنوات قبل أن يتمكن منه، فمن هو هذا الرجل؟ وما هي الظروف التي قامت فيها هذه الثورة؟ وما أثر ادعاء النسب في نجاحها المؤقت؟ وكيف أثرت في الفكر السياسي في بلاد المغرب؟ وتهدف في هذه الدراسة إلى التحقيق في نسب شقنا ومعرفة الظروف التي قام فيها بحركته، ومآلات هذه الحركة وآثارها على الفكر السياسي لبلاد المغرب، وللوصول إلى هذه الغاية سنجمع الروايات التاريخية من مصادرها ونعرضها على النقد ونحلل مضامينها للوقوف على الأحداث التاريخية واستخلاص النتائج والآثار.

2. شقنا بن عبد الواحد نسبه وشخصيته

يحيط بشخصية هذا الرجل الكثير من الغموض، ولا نجد عنه في مصادر التاريخ على اختلاف أنواعها سوى إشارات بسيطة، حتى اسمه فيه اختلاف كبير، ناهيك عن تفاصيل حياته من منشأ وتكوين ووظيفة وغيرها، وسنتبع في عجالة ذكره في المصادر حسب ترتيبها الزمني ونحاول أن نقف على شخصية هذا الرجل.

أول مصدر ورد فيه ذكره بالإسم هو أخبار مجموعة مؤلف مجهول فقد جاء فيه: «ثم ثار الفاطمي بعد ذلك إلى أربع سنين، وكان اسمه سفيان بن عبد الواحد المكناسي، وكان اسم أمه فاطمة، وأصله من لبدانية»⁽¹⁾، ثم يضيف قائلاً: «معلم كُتَّاب، فادعى أنه فاطمي، فوثب على سالم أبي زعل، عامل ماردة ليلا فقتله وغلب على ناحية قورية وأفسد يمينا وشمالا»⁽²⁾. ثم ذكره ابن القوطية (ت367هـ) دون أن يسميه فقال: «وثار عليه بعد ذلك ثوار كثيرون بسرقسطة، مثل مطرف بن الأعرابي، وغيره بعده، ورجل تنسب إلى علي رحمه الله، ثار في الهواريين، بجانب جيان، فنصر على جميعهم»⁽³⁾.

(1)- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989م، ص97.

(2)- المصدر نفسه، ص98.

(3)- ابن القوطية (ت367هـ): تاريخ افتتاح الأندلس، تحق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989م، ص54.

أما ابن الأثير (ت 630هـ) فقد ذكر أن اسمه كان شقنا بن عبد الواحد فقال: «وفيها ثار في الشرق من الأندلس رجل من بربر مكناسة كان يعلم الصبيان، وكان اسمه شقنا بن عبد الواحد، وكانت أمه تسمى فاطمة، وادعى أنه من ولد فاطمة، عليها السلام، (ثم من ولد الحسين، عليه السلام)، وتسمى بعبد الله بن محمد، وسكن شنت برية، واجتمع عليه خلق كثير من البربر، وعظم أمره، وسار إليه عبد الرحمن الأموي فلم يقف له وراغ في الجبال، فكان إذا أمن انبسط، وإذا خاف سعد الجبال بحيث يصعب طلبه»⁽¹⁾.

أما ابن عذاري (ت نحو 695هـ) فاكتفى بوصفه بالفاطمي حيث قال: «وفي سنة 152، ثار رجل من البربر، ادعى أنه من ولد الحسن بن علي - رضي الله عنه -؛ وكان أصله من مكناسة العدو؛ وكانت أمه تسمى فاطمة؛ فادعى أنه فاطمي؛ وتجمع له الغوغاء. فخرج إليه الأمير من قرطبة، وخلف بها ابنه هشاما؛ فتقحم الجبال أمامه بمن كان معه، وانصرف الأمير إلى قرطبة. فأقبل الفاطمي، وقتل عامل شنت برية؛ وغلظ أمره. فكان الأمير يرسل إلى قتاله بعض الفيالق؛ فيتعلق بالجبال الشواهد»⁽²⁾.

وأخيرا ابن خلدون (ت 808هـ) ذكر أن اسمه "شقنا بن عبد الواحد" فقال: «ثم ثار رجل بشرق الأندلس من بربر مكناسة يعرف بشقنا بن عبد الواحد، كان يعلم الصبيان وادعى أنه من ولد الحسين الشهيد، وتسمى بعبد الله بن محمد وسكن شنة برية»⁽³⁾.

ومن خلال هذه النصوص نلاحظ أنه ذكر باسم "سفيان" و"شقيا" و"شقنا" وهي كلمات متقاربة جدا في الرسم والاختلاف بينها في التنقيط، وواضح جدا أن مرد ذلك لأخطاء النسخ، ولا يمكننا بهذه المعطيات أن نرجح اسما دون الآخر إلا أن الأكثر شيوعا في المراجع والدراسات هو اسم شقنا بن عبد الواحد لذلك اعتمدناه في هذه الدراسة.

ومن جهة أخرى فإن هذه النصوص لا تسعفنا لتتعرف عليه أكثر، وكل ما نعلمه عنه أنه بربري من بربر مكناسة، وأن أمه اسمها فاطمة، وأنه ادعى النسب الشريف بأن ألحق نسبه بنسب فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم بأنه من أبناء علي رضي الله عنه، وأنه من ولده الحسين رضي الله عنه، وقد تسمى بعبد الله بن محمد، أما عن بقية السلسلة من نسبه فهي غير معروفة إذ لم تذكرها المصادر، وأما عن مهنته فذكرت المصادر أنه كان يعلم الصبيان والغالب أنه يحفظهم القرآن، وهذه الوظيفة عادة في مجتمعات تلك الفترة كانت متواضعة لا تكسبه مكانة تقارب مكانة الفقهاء والعلماء أو مكانة القضاة والإداريين، وهذه المكانة لا

(1) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري عز الدين (ت 630هـ): الكامل في التاريخ، تحقق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997م، ج5، ص173.

(2) ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت نحو 695هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م.

ج2، ص54.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد (ت 808هـ): تاريخ ابن خلدون (ديوان المتبدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت 1988م، ج4، ص157.

يمكن أن يحقق من خلالها اكتساب الأتباع ، وربما هذا ما يفسر ادعاءه للنسب الشريف، كما ذكرت بعض المراجع أنه كان يمارس الطب والشعوذة⁽¹⁾، ويبدو أنه كان يتمتع بالقدرة على الإقناع، وقد ذكرت النصوص التي عرضناها أن عامة من اتبعه من الغوغاء، فلم تشر المصادر إلى أن أحد العلماء اتبعه واقتنع بدعوته، ومن ناحية أخرى يظهر أنه كان على علم واطلاع بكل الأوضاع والظروف التي كانت تمر بها المنطقة، وقد أحسن استغلال كل ذلك، كما أن استراتيجيته في تسيير الصراع والقائمة على الكر والفر والتحصن بالجبال والمفاوز تدل على معرفته بالمسالك والطرق والدروب وقد استغل ذلك احسن استغلال، واستطاع أن يصمد في وجه الداخل قرابة العشر سنوات، فقد كانت ثورته من سنة 151هـ إلى أن قتل غدرا سنة 160هـ.

3. ظروف قيام ثورة شقنا بن عبد الواحد

قبل التطرق لثورة شقنا بن عبد الواحد ومجرياتها يجب علينا التعرف أولا على الظروف التي ظهرت فيها، وذلك من خلال الكلام عن التشيع في الأندلس قبل ثورة شقنا، لأن شقنا اعتمد في الدعاية لنفسه على التشيع لآل البيت، وأيضا على الكلام عن الثورات التي سبقت أو عاصرت ثورة شقنا والتي قامت ضد عبد الرحمن الداخل.

3. 1. التشيع في الأندلس:

كانت الأندلس منذ أن فُتحت أموية النزعة، ولهذا فقد بدأ التشيع فيها ضعيفا، حيث وُجد في الأندلس-رغم اتجاهها الأموي القوي- مصدران للتشيع كانا مصدرا للثورات:

الأول: بين البيوت العربية التي دخلت الأندلس، وكانت تدين بنصرة آل علي من قبل فظلت فيها هذه النزعة متوارثة.
والثاني: بين القبائل البربرية⁽²⁾.

وهذا المصدر الثاني هو الأهم، ذلك أن التشيع منذ نشأته اتخذ صبغة مضادة للعرب وللعصبية العربية، وكما أن التشيع في المشرق قام عليه الموالي من الفرس فكذلك في المغرب قام عليه الموالي من البربر، ولهذا فقد كانت بلاد المغرب تربة خصبة للدعوات الشيعية، وقد تردد صدق التشيع في الأندلس لأول مرة بين صفوف البربر الذين اشتركوا مع العرب في الفتح، واستأثر دونهم العرب بمغانم الانتصار وثمراته⁽³⁾.

لكن التشيع كتيار فكري وعقدي تأخر انتشاره في الأندلس إلى غاية أن قام بعض العلماء برحلات علمية إلى العراق، حيث جلبوا معهم بعض المؤلفات المشرقية التي حملت في طياتها الأفكار الشيعية، وقد ازداد حضور الفكر الشيعي عند قيام دعوة العبيديين في بلاد المغرب مع نهاية القرن الثالث الهجري، لكن الفترة التي نتكلم عنها لم يكن هناك في بلاد الأندلس تيار شيعي بالمعنى الفكري والعقدي بل هو لا يعدو كونه ميل وهوى لآل البيت من الأسرة العلوية وفي أحسن الأحوال الإقتناع بأحقيتهم في الحكم، لذا فإن أي كلام عن التشيع في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الأندلس يجب أن يوضع في هذا الإطار ويفهم على هذا الأساس، وثورة شقنا بن عبد الواحد في ادعائه للنسب الفاطمي (العلوي) وما حقق من نجاح وما لحق به من أتباع لا يجب أن يفسر على

(1)- أنخل جنتال بالنيثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الإسلامية، مصر، 1955م، ص4.

(2)- محمود علي مكي: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2004، ص9.

(3)- المرجع نفسه، ص7.

أساس أنها ثورة شيعية بالطابع الذي قامت عليه الدولة الفاطمية فيما بعد، حيث تبلور الفكر الشيعي وترسخت ركائزه كـمعتقد وكفكر سياسي.

3. 2. الثورات التي قامت ضد الإمارة الأموية في عهد الداخل:

لم تستقر الأمور لعبد الرحمن بعد القضاء على يوسف الفهري⁽¹⁾ والصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن⁽²⁾ وإنما قامت عليه خلال عهده ثورات كثيرة، وهي ثورة رزق بن النعمان الغساني سنة 142هـ، وثورة هشام بن عروة الفهري بطليطلة سنة 147هـ، وثورة عبد الغافر اليماني بإشبيلية سنة 144هـ، وثورة العلاء بن مغيث اليحصبي بباجة سنة 146هـ وثورة سعيد اليحصبي المعروف بالمطري ببلبة سنة 149هـ، وثورة أبو الصباح بن يحيى اليحصبي بإشبيلية سنة 149هـ، وثورة حيوة بن ملامس في إشبيلية سنة 146هـ، وثورة أهل بيته عليه سنة 168هـ، وثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري بتدمير سنة 163هـ، وثورة الرماحس بن عبد العزيز الكناني في الجزيرة سنة 146هـ، وثورة سليمان ابن يقظان الأعرابي والي برشلونة سنة 157هـ، وثورة الحسين بن يحيى في سرقسطة سنة 165هـ، وثورة محمد بن يوسف الفهري في طليطلة سنة 169هـ، وثورة قاسم بن عبد الرحمن الفهري سنة 171هـ⁽³⁾.

وهذه الثورات والمؤامرات ضد الأمير عبد الرحمن الداخل تدل على حالة الفوضى المنتشرة في أنحاء الأندلس ومدى التنافس بين القبائل المختلفة، والأحقاد المتأصلة بين زعماء القبائل حكام المدن والثغور، وأن نزعة الانفصال كانت تهدد وحدة الأندلس، بما أتاح لأعداء المسلمين في الأندلس -خاصة الممالك المسيحية في الشمال- أن تحتل بعض المدن الشمالية وتهدد أمن المسلمين، وسهل التدخل الخارجي سواء من جانب الفرنج أو العباسيين، ولولا يقظة وحكمة عبد الرحمن وحزمه وسرعة مجابهة هذه الثورات والقضاء عليها، والعمل على تقوية الدولة ووحدها لتفتت الأندلس وسقط عبد الرحمن لقمة سائغة في أيادي أعدائه، وسنرى أن

(1) يوسف الفهري: هو يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع الفهري: أمير الأندلس، وأحد القادة الدهاة الفصحاء، لما توفي " ثوبة بن سلامة " بقرطبة اختلقت المضربة واليمانية فيمن يولونه الإمرة، وكلا الفريقين يريد أن يكون الأمير منه. ثم اتفقوا على صاحب الترجمة، فكتبوا إليه يذكرون له إجماعهم على تأميره، فجاءهم سنة 129 هـ وأطاعوه، واستمر إلى أن دخل عبد الرحمن الأموي الأندلس، فقاتله يوسف (سنة 139) فانحزم أصحابه وقتله بعضهم في طليطلة سنة 142هـ. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص82، ابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص49، الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج8، ص236.

(2) الصميل بن حاتم: هو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الضبابي، شيخ المضربة في الأندلس، وأحد الأمراء الدهاة الشجعان الأجواد، قدم الأندلس في أمداد الشام أيام بني أمية، فرأس بها وأساء إليه عاملها أبو الخطار، فثار أصحاب الصميل وقبضوا على أبي الخطار، وولوا ثوبة بن سلامة، ثم غيره، والسلطة والنفوذ للصميل؛ وأقام على ذلك إلى أن دخل الأندلس عبد الرحمن الأموي، فمات الصميل في سجنه سنة 142هـ. وكان أمياً، وله شعر. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ): الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، ص67، الزركلي: الأعلام، ج3، ص209-210.

(3) للاطلاع على تفاصيل هذه الثورات انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص49 وما بعدها؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، ج1، ص157 وما بعدها.

هذا الجهد والكفاح الدائب الذي قام به عبد الرحمن قد جمع شتات القبائل ووحدها فيما بينها، وجعل حكمه بداية عهد جديد في الأندلس، سار عليه أبنائه من بعده لتشييد صرح الدولة الإسلامية في الأندلس⁽¹⁾.
وقد استغرق عبد الرحمن طول مدة إمارته (138-172هـ) في إخماد الثورات التي قامت ضده وعني بشكل خاص بأن يضرب بيد من حديد على كل دعوة هاشمية، عباسية كانت أو علوية.

4. ادعاء شقنا للنسب الشريف

يعتبر شقنا بن عبد الواحد أول من ادعى النسب الشريف في دولة الإسلام، وليس النسب الشريف فحسب بل النسب الفاطمي، وقد اعتمد في ذلك على التبدليس مستغلا تصادف تشابه اسم أمه مع اسم ابنة النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها، وهذا لم يحدث قبلا في تاريخ الإسلام سواء في بلاد المشرق أو في بلاد المغرب، فلماذا استغل النسب العلوي ولم يدع لنفسه باسمه الحقيقي؟ وكيف انطلى هذا على الجموع الغفيرة التي اتبعته؟

للإجابة عن هذين السؤالين يجب أن نعود قليلا بالتاريخ إلى الوراثة، فنجد أن أمام شقنا نموذجين اثنين لثورتين نجحتا في قلب النظام القائم، وقد عاصر كليهما وكان عليه أن يختار احديهما، الثورة الأولى: وهي الثورة العباسية التي نجحت في قلب النظام وإسقاط الأمويين ومعلوم أن سر نجاحها في كسب التفاف الناس حولها هو التبدليس القائم على الدعوة للرضى من آل البيت وظن الناس أنها دعوة علوية لكن في الأخير تبين أنها عباسية، استغلت حب الناس للعلويين بسبب النسب النبوي (الفاطمي) الشريف، أما النموذج الناجح الثاني الذي كان أمام شقنا هو الثورة التي قام بها عبد الرحمن الداخل، ونجاحه في تأسيس إمارة أموية في الأندلس في ظرف قياسي وبإمكانات بسيطة، مستغلا في ذلك نسبة الأموي الشريف، وهذا كان سبب اكتسابه للشرعية وسهل من مهمته في كسب الأتباع، ومن المنطقي جدا أن يختار شقنا النموذج الأول، إذ أن النسب الأموي كان قد استهلك في الأندلس وقد استغله الداخل، وأن أي محاولة أموية أخرى سوف لن تلقى استجابة، لذا فإن شقنا اختار النسب الفاطمي الشريف، لكسب الأتباع في وقت وجيز، ومن خلال استقرارنا لمكونات شخصيته قبل ادعاء النسب لما وجدنا ما يمكنه من قيادة الناس فلا نسبه ولا عمله ولا علمه يكسبه شرعية المطالبة بالحكم.

ويبقى السؤال الثاني كيف نجح في ادعاء النسب الشريف؟، يجب أن ننطلق في الإجابة عن هذا السؤال من أن هذا لم يحدث قبلا في بلاد المشرق، وهذا مرده ربما إلى أن علم الأنساب من العلوم التي اهتم بها المسلمون منذ وقت مبكر، وقد كان أول تدوين للأنساب في ديوان العطاء الذي وضعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ناهيك عن اهتمام وافتخار العرب بالأنساب قبل الإسلام بوقت طويل، لكن في بلاد الغرب الإسلامي وخاصة الأندلس فإن العنصر البربري رغم أنه مجتمع قبلي إلا أن الأنساب لديه لم تكن معروفة ولا مدونة، وعلم الأنساب لم يظهر أو يتطور في الأندلس في هذه الفترة المبكرة من تاريخ المنطقة، رغم وجود العنصر العربي، لذا فإن ادعاء النسب الشريف أصبح ممكنا في الأندلس خاصة وأن شقنا بدأ دعايته في منطقة يكثر فيها العنصر البربري، ولا نستبعد حتى أنه خاطب أتباعه بلهجة بربرية محلية فلم يكن بالإمكان أبدا أن يمرر شقنا خدعته على منطقة يكثر فيها العرب، وهم يعلمون تفاصيل النسب النبوي الشريف بكل تفريعاته.

(1)- محمد محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس، القاهرة، 1990م، ص258.

5. قيام ثورة شقنا وتعامل الداخل معها

إن قيام ثورة في ظل الظروف التي كانت تشهدها الأندلس في الفترة التي قامت فيها ثورة شقنا (151-160هـ) لا يمكن أن يعزى سببها إلى اصلاح الوضع الاجتماعي أو الاقتصادي، كما لا يمكن أن يرد إلى الإنتفاض ضد حكم فاقد للشرعية وإرجاع الحكم لأيدي حاكم شرعي، لذا فإن سبب الثورة الأساسي هو الطموح الزائد والسعي وراء المصلحة الدنيوية المتمثلة في السلطة، وما يتبعها من ثروات ومكاسب مادية، ورغم أن ما تحمله في طياتها من توجه شيعي إلا أنها خالية من العمق العقدي الشيعي الذي لم يتبلور بعد في الأندلس.

لما أنس شقنا الدعي الفاطمي قوة جمعه، سار إلى شنت برية، فاستولى عليها وجعلها مركزه العام سنة 151هـ، ثم سار في جموعه غرباً واستولى على ماردة وقورية ومدلين، وعلى جميع المنطقة الواقعة حولها بين نهر التاجه ووادي يانة، فقويت دعوته وعظم أمره، واشتد بغيه وعبثه في تلك الأنحاء، وأخذت العناصر المخالفة لعبد الرحمن الداخل من العرب في التحرك أيضاً؛ فعهد عبد الرحمن إلى والي طليطلة أن يجمع ثورة شقنا، فبعث إلى شنت برية جيشاً بقيادة سليمان بن عثمان، فخرج إليه شقنا في قواته وهزمه وأسر قائده سليمان وقتله، وزاد هذا الظفر في سلطانه وبغيه، فسار إليه عبد الرحمن بنفسه في العام التالي (سنة 152هـ)، واقتحم منطقة الثورة، ونشبت بينه وبين البربر وقائع عديدة ثبت فيها البربر، وامتنع شقنا بالجمال، ولم يجد عبد الرحمن سبيلاً إلى مطاردته فارتد إلى قرطبة، وبعث إلى شنت برية مولاه بدرراً ليتابع القتال، فاستمر شقنا ممتنعاً بصحبه في الجبال، محاذراً لقاء الجيش المهاجم، وعاد عبد الرحمن لقتاله بنفسه في العام التالي (سنة 154هـ)، وشدت في محاصرته ومطاردته، ولكنه لم يفلح أيضاً في حمله على مغادرة مواقعه، ثم بعث لقتاله في العام التالي مولاه عبيد الله بن عثمان، فخرج شقنا للقائه واستمال جنده البربر، وبث الخلاف إلى صفوفه، فأنحل عسكره وأتخن فيه، ففر عبيد الله واستولى شقنا على معسكره وأسلاب جيشه، وقتل جماعة كبيرة من وجهاء جنده (سنة 155هـ)⁽¹⁾.

وهكذا فشلت الحملات المتوالية لإخماد الثورة في تلك المنطقة الوعرة، فعاد عبد الرحمن بجيش جديد إلى شنت برية، ولكنه لجأ عندئذ إلى وسيلة جديدة لتمزيق شمل الثوار، فاستقدم إليه كبير البربر في شرقي الأندلس واسمه هلال الميديوني، وأقره على ما بيده من الأنحاء، وأصدر له عهداً بولاية الأنحاء التي غلب عليها شقنا، وفوض إليه أمر استخلاصها منه، وكان لتلك الحيلة أثرها في بث الخلاف إلى صفوف البربر، فانفض عن شقنا كثير من أنصاره، واضطر أن ينسحب من شنت برية إلى الشمال ليعتصم بالجمال مرة أخرى، وبينما عبد الرحمن يجد في مطاردته ويقتحم معاقله وضياعه، وينكل بأنصاره حيثما وجدوا، إذ بلغه نشوب الثورة في إشبيلية ولبلة وباجة، فاضطر عبد الرحمن إلى العودة إلى قرطبة والقضاء على هذه الثورات⁽²⁾.

وفي العام التالي عاد عبد الرحمن إلى مطاردة شقنا، فالتجأ هذا الأخير إلى الجبال كعادته، ولم يجد عبد الرحمن سبيلاً إلى اللحاق به، فغزا قورية وأتخن في تلك الأنحاء، وكان أمر شقنا قد ضعف خلال هذه الأعوام وتضاءل جمعه، ولكنه لبث يسيطر على شنت برية وماردة، ولبثت دعوته خطراً يهدد سلام الأندلس. فوجه عبد الرحمن لقتاله في العام التالي حملة قوية أخرى بقيادة تمام بن علقمة

⁽¹⁾ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص173، ابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص54، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص157.

⁽²⁾ ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص54.

وعبيد الله بن عثمان، فلقبهما شقنا ووقعت بينهما معارك شديدة، رجحت فيها كفته، ثم التجأ إلى حصن شبطران بقرب شنت برية، فحاصره تمام وعبيد الله مدى أشهر، ولم يظفرا منه بطائل، فعادا إلى قرطبة، وخرج شقنا على أثر عودهما إلى شنت برية، ونزل بقرية من أعمالها تسمى قرية العيون، وهنالك ائتمر به اثنان من أصحابه، هما أبو معن داود بن هلال وكنانة بن سعيد، وانقضا عليه ذات يوم وقتلاه، واحتزا رأسه وحملها إلى عبد الرحمن في قرطبة، وبذلك انفضت جموعه، وخبث ثورته، بعد أن لبثت زهاء عشرة أعوام تحمل الدمار والسفك إلى شرقي الأندلس وغربيها، وتهدد سلطان عبد الرحمن بشر العواقب، وحققت الخيانة في لحظة واحدة ما لم تحققه الحملات والبعوث المتعاقبة في أعوام طويلة؛ ولعل هذه الضربة الناجعة لم تكن بعيدة عن أصبع عبد الرحمن أو وحيه، وقد كانت الخيانة والجريمة من بعض أسلحته في مقارعة خصومه، وكانتا تحققان له في بعض الأحيان من الظفر ما لا تحققه أي الوسائل، وكان مصرع شقنا وانتهاء ثورته سنة 160هـ (776 م) ⁽¹⁾.

6. نتائج ثورة شقنا

- كان من الطبيعي أن يكون تصادم هذه الآراء السياسية والدينية مجديا على الثقافة، وان يكون باعثا للمسلمين على تعرف الإسلام الذي يدينون به وتعمقه خاصة في بلاد حديثة عهد بالفتح كالأندلس.
ومن هنا لم تلبث المذاهب الفقهية أن ظهرت بين المسلمين، وانتقلت على الأندلس وقد كان أهل الأندلس أول الأمر أوزاعية ثم تحولوا إلى مذهب مالك ⁽²⁾.

- إن فتنة شقنا حازت مكاسب أهم من كل ثورات الأندلس، فلقد انضم ثلثي القبائل الأندلسية لشقنا وحاز نصف الأرض، وأهك الجيش الأموي في الأندلس حتى صارت الحرب مغرما على بلاط السلطان.

- لقد كانت فتنة عظيمة هزت الأركان السياسية والثقافية لنموذج الدولة الأموية التي اصطبغت بشرعيات النسب والتاريخ والدين وحكمت بها، لقد كان شقنا أول وآخر تائر يضع السيف ويواجه دولة بإيديولوجية فكرية وأساليب سياسية غرضها استقطاب الناس ليخوضوا حرب وكالة على الدولة الأموية.

- كان من الطبيعي وفي ظل الظروف التي قامت فيها هذه لثورة أن يستغل كل من له طموح في الوصول إلى السلطة، أو له ثأر عند عبد الرحمن فرصة اشتغاله بثورة شقنا ويعلن تمرده أو عصيانه وثورته كما رأينا وهذا ما جعل عبد الرحمن يقاتل على عدة جبهات.

7. خصائص ثورة شقنا

يمكننا أن نلخص خصائص ثورة شقنا فيما يلي:

- هذه الثورة هي أول محاولة لإقامة دولة شيعية في المغرب الإسلامي، إذ أنها سبقت تكوين دولة الأدارسة العلوية بنحو عشرين سنة وقد كشفت هذه التجربة عما يمكن للدعوات الشيعية أن تصيبه من النجاح في أوساط القبائل البربرية ⁽³⁾.

⁽¹⁾ م جهول: أخبار مجموعة، ص 98؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6 ص 17؛ محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، ص 164-167.

⁽²⁾ بالنشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 4.

⁽³⁾ محمود علي مكي: التشيع في الأندلس، ص 10.

- كانت أخطر الثورات التي هددت عبد الرحمن الداخل وأطولها إذ استمرت من 151هـ إلى 160هـ، قد امتدت ما بين ماردة وقورية غربا إلى ثغور وادي الحجاره وكونكة شرقا، أي في جميع الهضبة التي تتوسط شبه الجزيرة⁽¹⁾.
- لسنا نعلم شيئا مفصلا عن تعاليم شقنا، إلا أن ابن عذارى يسميه "الداعي الفاطمي" وربما دل على أنه كان يدعو لغيره بالخلافة، وعلى أية حال فقد كان لثورته طابع روحي مذهبي⁽²⁾.
- كأن شقنا ردد في جوانب الأندلس صدى الخلاف الكبير الذي صدع الإسلام من أول الأمر صدعا عميقا، وهو الخلاف حول الخلافة، فقد تحرب نفر كبير من المسلمين لأبناء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأت عن ذلك طائفة الشيعة السياسية الدينية⁽³⁾.
- يبدو أن دعوة شقنا لم يكن لها من العمق ما كان لها من الإنتشار، إذ لم تحمل في طياتها مشروعا حقيقيا وفكرة يمكن تحقيقها، والدليل على ذلك أنه لم تقم لدعوته قائمة بعد مقتله.

8. خاتمة

بعد هذا العرض والتحليل لثورة شقنا الدعي الفاطمي نخلص إلى أن هذا الرجل أحسن استغلال الظروف لصالحه وفهم جيدا طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، واستغل النسب الشريف لتحقيق مآربه والوصول إلى طموحاته السياسية، وقد نجح في ذلك إلى مدى بعيد، وشكّل لعبد الرحمن الداخل حجر عثرة في طريق تحقيق مشروعه وبعث أجماد دولة الأمويين المنقرضة، لكن كان مشروع شقنا مشروع الخاص الذي لم يتجاوز إلى أتباعه، ويبدو أن تصوره كان مقتصرًا عليه وكل من أحاط به من الأتباع من البربر لم يقصد من أتباعه غير مغنم الغزو أو لذة الانتقام من الأمويين، وقد انتهى هذا المشروع الفاشل بمقتل صاحبه وانتهى في أرضه ولم يبق له بعده أحد.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ): الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م
2. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري عز الدين (ت 630هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997م.
3. ابن القوطية (ت 367هـ): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989م.

(1)- المرجع نفسه، ص262.

(2)- المرجع نفسه، ص11.

(3)- بالنتيجة: تاريخ الفكر الأندلسي، ص4.

4. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد (ت 808هـ): تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت 1988 م.
 5. ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت نحو 695هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م.
 6. أنخل جنثالث بالثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الإسلامية، مصر، 1955م.
 7. الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.
 8. مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989م.
 9. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م.
 10. محمد محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس، القاهرة، 1990م.
- محمود علي مكي: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2004م.